Al-Ahwaz.com

الفصل الثاني

في سمو مولانا الشيخ خزعل والاصلاح الذي تمّ على عهده

« خلد الله سرير ملكه »

ترجمة سمو الشيخ المعظم

هو سمو الشيخ خزعل خان الكعبي العامري ، ابن المرحوم المبرور ساكن الجنان نصرة الملك ، الشيخ جابر خان ، مؤسس امارة المحمرة الزاهرة ، وممهد بنيان استقلالها ؛ اشرقت انواره السنية، في مهده ، في سنة ١٢٧٩ للهجرة ، من امه ابنة الشيخ طلال الباوية ؛ وكانت بشرى ولادته عامة في البلاد ، قابلها الناس بالشكران لما توقعوه في سموه من اصلاح الحال ، بين القبائل الخاضعة للمحمرة ، وكانت متنافرة ، والنسب عند العرب ، من أقوى الاسباب ، على توحيد القلوب والاميال .

وكان سرور قبيلة الباوية بمولد سموه ، عظيماً جداً . وهي القبيلة الشديدة البطش العظيمة الجاه ، المحافظة على بدويتها والمقيمة في الخيام ، التي يخرج منها في يوم الحرب خمسة آلاف محارباً ، شاكي الاسلحة ، لا يهابون الزمان ، ولا يخافون وقائع الحدثان .

وازدحم الناس في يوم مولده الزاهر ، بسراي ساكن الجنان ، المرحوم أبيه ، لرفع واجبات التهاني والتبريك والاخلاص ، وكان رحمه الله فرح مبتهج بمولده السعيد ، يوزع العطايا والمنح على الوف الالوف ، من قاصديه الذين سعوا اليه من كل صوب وحدب . وكان فرحه رحمه الله بمولد نجله الشيخ خزعل حفظه الله لا يوصف ، ورووا لي انه لم يُرَ مسروراً في يوم

من الايام كسرورد في ذلك اليوم السعيد الطالع .

وعند ما ترعرع سموه ، ظهرت عليه مخائل النجابة والذكاء ، بشكل غريب مدهش ، حتى انه كان في السنة الثالثة من عمره الميد، يجلس في مجلس المرحوم أبيه . ويحادث قاصديه وضيوفه ، وكانوا من أوجه وجوه العربان ، في كل أمر جلل ، وكان يلقي على المرحوم أبيه من الاسئلة مايدل على حصافة وتوقد خاطر عجيبين ، ومما يحفظ لسموه وهو في ذلك العهد ، حسن حفظه ، بحيث اذا رأى أحداً من الناس مرة لا يعود ينساه .

ولما بلغ الخامسة من عمره السعيد ، أحضر له أبوه شيخاً من شيوخ النجف ، نكعف على تعليمه القراءةالعربية،ولم يحل الحول حتى كان يحسن القراة جيداً ؛ وفي الحول الثاني،وكان سموه في السادسةمن ربيع عمره،حفظ القرآن الشريف على صفحات قلبه ؛ وجعل يتفقه باصول الدين ،وبقي على ذلك الى السنة العاشرة من ربيع ،عمره حفظه الله .

ولما رأى ساكن الجنان ، المرحوم والده المعظم ، ما هو عليه من الذكاء، والنباهة ، والفطنة وتوقد الخاطر ، تهلل فرحاً ، وجاء لسموه ببعض شيوخ مدينةالنجف فانعكفوا على تثقيفه وتهذيبه، في العلوم الادبية والعقلية ،فأبدى من الذكاء المدهش ، العجب العجاب، وما شاء الله .

ولما شبّ سموه حفظه الله ، عكف على رمي السلاح، وركوب الخيل، وخوض غمرات الحروب ؛ فرأى الناس من شجاعته ، فوق ما رأوا من ذكائه ونباهته؛ وأصبح المرحوم أبيه يعول عليه،في قيادةالشجعان والفرسان، للحرب والطعان ، فكان يذهب قادراً ، ويعود منتصراً ظافراً ؛ وقد حدثونا عن شجاعته ، في حروبه ومغازيه ،ما يدخل في طور المعجزات ، فانه نصر

الله به الدين الحنيف ، كان يتقدم الجيوش في الكر والضرب ، ولا يعود الا ظافراً قاهراً من مواقف الحرب : وسمع الاكثرون ، وهم شهود عيان ، من فم المرحوم أبيه : « سيكون لخزعل شان وأي شأن » ولقد صدقت والله فراسة أبيه ، في معاليه ، بين أعدائه ومواليه ،

وفي أواخر أيام ساكن الجنان المرحوم أبيه تولى سمو مولانا الشيخ قيادة الجيش العام ، وظلَّ كذلك مدة بضع أعوام ، وعند ما انتقل الوالد ، الكثير المحامد ، الى دار الخلود ، وتولى الامارة ، المرحوم الشيخ مزعل خان ، الشقيق الاكبر لسمو مولانا الشيخ ، اناط بسموه قيادة الجيش ، فايد بسيفه سلطانه ، وأعز بشجاعته مكانه ؛ وأهم موقعة لسموه في عهد المرحوم هي انتصاره على قبيلة الحويزه ، التي يذكرها الناس بالاعجاب حتى الآن ، ويسمونها بوقعة العتابية ، فقد انبرى وفتك بجيشه القليل ، على أعدائه الكثيرين ، وهو يردد قول الله تعالى « ورب فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » وكذلك كان حيث ايده الله بنصر من عنده تخذل الاعداء ، وقهر الاخصام ، وجندل الابطال ، وقهر الرجال ، وعاد مكللاً باكليل النصر بالمجد والجلال. ولسان حاله ينشد :

انا ابن جلى وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفوني

وصف سموه

اما سموه حفظه الله تعالى ، فهو ابيض البشرة ، اسود الشعر ، اسود العينين ، بشوش الثغر ، طلق المحيا ، ذو نظر نافذ جذاب ، فصيح اللهجة ، مربوع القامة ، ممتلي الجسم ، يميل الى البساطة في ملبسه ، وديع يؤانس ضيوفه من اي طبقة كانوا ، شريف العواطف ، ذو سماحة وطلاقة ، حليم عند القدرة ، شفوق على اللائذين به ،

والمسالمين له ، يشارك الناس في افراحهم واحزانهم ، ويفرح لفرحهم ، ويحزن لاحزانهم ، ويسهر عليهم وهم نيام ، ويهتم بخيرهم واي اهتمام ، وهو حاكم عادل ، لا تأخذه بالحق لومة لائم ، وعدا ذلك فهو تقي ورع ، ومسلم صادق بدينه ، يصلي الاوقات الخمس ، ويقضي الفرض والنفل ، بايمان صادق ، ونية صافية ، متوجهة لله عزّ وجل .

ومن الغريب ، ان هذا الذي تراه ليناً في معاملته ، وديعاً لدى ضيوفه واخوانه ومن يواليه ، حليماً على اعدائه والمستجيرين به ، ينقلب الى بطل باسل ، عند اشتباك الحروب ، واضطرام نيران الوغى ، فتراه وهو فوق جواده ، يقود الجيوش ، ويتوغل في المفاوز والفيافي ، فتقول انه المغوار الذي لا ينازل ، والفارس الذي لا يقاوم ؛ فيكرّ على الاعداء ولو كانوا الوفاً ، ويخترقهم بجيشه ولو كانوا صفوفاً ، ويقضي عليهم القضاء المبرم ، ويذيقهم من حدّ سيفه الابتر المرّ والعلقم ، وما خاض غمار حرب الا وكان النصر اليفه ، والفوز حليفه ، والراية المرفوعة رايته ، والكلمة النافذة كلمته ؛

وهكذا جمع سمو مولانا المعظم حفظه الله وابقاه ، واكبت عداه ، ووفقه لما يرضاه ، بين الاضداد ، وهكذا حكم سموه ، ادام الله شوكته ، وصان عظمته ، البلاد ، فاسعد العباد ، فلا عجب اذا شغفت فيه رعاياه ، ونال ما يصبو اليه من العزّ والجاه .

❁ أعماله السياسية على عهد أخيه ❁

قلنا في عرض الكلام ، عن المرحوم المبرور الشيخ مزعل خان ، انه رحمه الله كان شديداً صارماً ، والشدة في بلاد العرب غير محمودة العواقب ، لان العربان أهل أنفة وعزة ، فلا يخضعون لغطرسه حاكم مهما كان قوياً ،

عظيما ، ولذلك انتقضت عليه القبائل ، واستمرت في أيامه نيران الحروب ، وكان وقتئذ سيدنا ومولانا وولي نعمتنا ، سمو الشيخ خزعل خان ، صانه الرحيم الرحمن ، قائداً للجيوش ، وحافظاً أميناً لسلطان أخيه ، وبشجاعته الغريبة ، ونباهته في حسن ادارة رحى الحرب ، وسوق الجنود ، قوي على اخصام المملكة وأعاد السكينة للبلاد ؛ الا أنه خلد الله ملكه ، وأيده بروح من عنده ، كما كان في الحرب فارساً مغواراً ، كذلك كان في السلم سياسياً محنكاً دهقاناً ، فرأى بحزمه وبعد مواقع نظره ، أن يعمل بقلمه على حقن دماء المسلمين ، مالا يفعله الحسام ، في الحرب والخصام ، فجعل يخابر رؤوس القبائل ويستميلهم اليه ، ويريهم الشرّ الذي ينتج عن عصيانهم بالبرهان ، قبل تجريد الحسام ، وتمكن بهذا الاسلوب الحكيم أن يطفي تلك النيران المتطايرة الشرر ، وبهذا انقادت اليه النفوس ، وشغفت به القلوب ، وأصبحت محامد الشيخ حديثهم في بيوتهم ، وشغلهم الشاغل في حلهم وارتحالهم ، وكانوا يقولون حبذا لو كان الحكم في يد مولانا الشيخ خزعل ، لكنا بلغنا الآمال والاماني ، وترنمنا في مدائحه على نغم المثالث والمثاني ، في أفصح المباني ، وأزهى المعاني ؛ وكانت الدعوات بطول بقاه صادرة من أفواه الكبير والصغير ، والصعلوك والامير . ويعدون أنفسهم بالتقدم والارتقاء في حكم هذا الملك الخطير . واذا عرفنا ذلك جيداً ، سهل علينا أن نقدر ماخامر القلوب ، من الفرح والسرور والابتهاج ، عند مازاعت البشرى بتربع سموه على أريكة الامارة العظمى وقد كتب في ذلك ، حضرة العالم الفقيه ، خادم القرآن الشريف ، والعلم المنيف ، فضيلة الاستاذ الشيخ عبد اللطيف الجزائري ، من علماء النجف وأتقيائهم ما يأتي قال :